

صيد الخاطر

312 - _ فصل : أكثر الزاد فإن السفر طويل .

ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح فإن الطبع يسرق .
فإن لم يتشبه بهم ولم يسرق منهم فتر عن عمله .

فإن رؤية الدنيا تحت على طلبها وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سترا على بابه فهتكه وقال [مالي و للدنيا] و لبس ثوبا له طراز فرماده وقال : [شغلتني أعلامه] و لبس خاتما ثم رماه وقال : [نظرت إليكم و نظرت إليه] .
و كذلك رؤية أرباب الدنيا و دورهم و أحوالهم خصوصاً لمن له نفس تطلب الرفعة .
و كذا سماع الأغاني و مخالطة الصوفية الذين لا نظر لهم اليوم إلا في لرزق الحاصل .
لو كان من أي مكان قبلوه و لا يتورعون أن يأخذوا من ظالم و ليس عندهم خوف كما كان أوائلهم .

فقد كان سري السقطي يبكي طول الليل و كان يبالغ في الورع و هم ليس لهم ورع سري و لا لهم تعبد الجنيد .

و إنما ثم أكل و رقص و بطالة و سماع أغاني من المردان حتى قال بعض من يعتبر قوله : حضرت مع رجل كبير يومئه إليه من مشايخ الربط و مغنيهم أمد فقام الشيخ و نقطه بدینار على خده .

و ادعاؤهم أن سماع هذه الأشياء يدعو إلى الآخرة فوق الكذب و ليس العجب منهم إنما العجب من جهال ينفقون عليهم فيفقون عليهم .

و لقد كان جماعة من القدماء يورن أوائل الصوفية يتبعدون و يتورعون فيعجبهم حالهم و هم معذورون في إعجا بهم بهم .

و إن كان أكثر القوم في تعبدهم على غير الجادة كما ذكرت في كتابي المسمى بتلبيس إبليس .

فأما اليوم فقد برح الخفاء أحدهم يتتردد إلى الظلمة و يأكل أموالهم و يصافحهم بقميص ليس فيه طراز و هذا هو التموف فحسب .

أو لا يستحي من الله من زهد في رفيع الأثواب لأجل الخائق لا لأجل الحق .

و لا يزهد في مطعم و لا شبهة فالبعد عن هؤلاء لازم .

و ينبغي للمنفرد لطاعة الله تعالى عن الخلق ألا يخرج إلى سوق جهده فإن خرج ضرورة غض بصره و ألا يزور صاحب منصب و لا يلقاءه فإن إضطر داري الأمر .

و لا يخالط عاميا إلا لضررة مع التحرز و لا يفتح على نفسه باب التزوج بل يقنع بامرأة فيها دين .

فقد قال الشاعر : .

(و المرء ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين العين موقوف على الخطر) .

(يسر مقلته ما ضر مهنته ... لا مرحبا بسورة عاد بالضرر) .

فإن كان يغلب عليه العلم انفرد بدراسته و احترز من الأتباع المتعلمين و إن غلت عليه العبادة زاد في إحترازه و ليجعل خلوته أنيسه و النظر في سير السلف جليسه .

و ليكن له وظيفة من زيارة قبور المالحين والخلوة بها .

و لا ينبغي أن يفوته ورد قيام الليل و ليكن بعد النصف الأول فليطيل مهما قدر فإنه زمان بعيد المثل .

و ليتمثل رحيله عن قرب ليقصر أمله و ليتزود في الطريق على قدر طول السفر .

نـسـأـلـ إـلـهـ يـقـظـهـ مـنـ فـضـلـهـ وـ إـقـبـالـ عـلـىـ خـدـمـتـهـ وـ أـلـاـ يـخـذـلـنـاـ بـالـإـلـتـفـاتـ عـنـهـ إـنـهـ قـرـيبـ مـجـبـ